

الهوية في علوم الإعلام والاتصال

Identity in Information and Communication Sciences

نصيرة ملال *

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم (الجزائر)، mellalnasera@yahoo.com

تاريخ النشر: 2021/12/25

تاريخ القبول: 2021/09/30

تاريخ الاستلام: 2021/06/23

ملخص:

يعد مفهوم الهوية من أهم المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وقد عرف هذا المفهوم الكثير من النقاش بالنظر إلى اختلاف المفكرين حوله. ولقد كان لميدان علوم الإعلام والاتصال نصيبه من هذا النقاش، فظهرت الكثير من الدراسات التي تناولت الموضوع من خلال وسائل الإعلام المختلفة وتأثير هذه الأخيرة على المفهوم وترسيخه، والحديث عن جذوره التاريخية والمقاربات النظرية له وكذا صراع الهويات، وتحديد العلاقة بين المجتمع ووسائل الاتصال من ناحية، ومن ناحية أخرى تقييم آثار وسائل الإعلام ومساهمتها في تشكيل الهوية.

كلمات مفتاحية: الهوية، الجذور التاريخية للهوية، الإعلام والاتصال، مقاربات نظرية، صراع الهويات.

Abstract:

The concept of identity is one of the most important concepts in the humanities and social sciences and it defend much debate due to difference between thinkers' ideas. The field of information and communication sciences has it portion of this controversy, it featured many studies on the subject through various media about identity history and its approaches as well as the clash of identities.

Keywords: Identity; identity history; information and communication; approaches; clash of identities.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إن المفاهيم تساهم في تغذية وتشكيل كل من خطب الإعلام والسياسة الحاملة للأفكار و المبادئ والسياسات ذات الأيديولوجيات المختلفة أين تشكل المفاهيم سلاحاً في يد مستخدميها، تتراوح مهمتها ما بين وسائل لخلق الانسجام والتفاعل، وبين وسائل تغذي الصراعات عندما يجري تداولها بنوع من الحماس والتوتر، فينتج لذلك تقاطعات في الآراء والمواقف والتصورات التي تؤدي في أغلب الأحيان إلى مظاهر العنف، في إطار ما يسمى "بحرب المفاهيم". ولعل مفهوم الهوية يعتبر إحدى هذه المفاهيم المشحونة، والتي تغذي نوعاً من الخلافات والمتنافرات، أدت إلى ظهور ما يسمى بصراع الهويات وتناحرها في العالم المعاصر.

فقد حرصت شعوب العالم منذ بداية البشرية حتى هذا اليوم إلى المحافظة على تميزها وتفردتها اجتماعياً، وقومياً، وثقافياً، لذلك اهتمت بأن يكون لها هوية تساعد في الإعلاء من شأن الأفراد في المجتمعات، وساهم وجود الهوية في زيادة الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية، مما ساهم في تميز الشعوب عن بعضهم بعضاً، فالهوية جزء لا يتجزأ من نشأة الأفراد منذ ولادتهم حتى رحيلهم عن الحياة.

ومنه يمكننا طرح الأشكال التالية، ماهي الجذور التاريخية والفلسفية لمفهوم الهوية؟ كيف تناولت علوم الإعلام والاتصال هذا المفهوم؟؟

عليه، تهدف دراستنا هذه إلى توضيح تموقع مسألة الهوية في علوم الإعلام والاتصال، من خلال التعرّيج على الجذور التاريخية للهوية، وتطور دلالتها من خلال مختلف النظريات وللإجابة عن هذه الإشكالية، ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدنا المنهج التحليلي، وذلك بالرجوع إلى أهم المفكرين والدراسات التي تناولت مسألة الهوية.

وتنبع أهمية دراستنا هذه من موضوعها في حد ذاته، ألا وهو الهوية، والذي يعيد الظهور إلى واجهة البحوث والدراسات خاصة مع تطور تكنولوجيات المعلومات والاتصال، وتنوع الأفكار وتجديدها، ضف إلى ذلك أصالة الموضوع والخلفية الثقافية، التاريخية والفلسفية للمفهوم.

2. الجذور التاريخية لمفهوم الهوية

إن دراسة مفهوم الهوية والتطرق إلى أصولها ومقوماتها يقودنا إلى عدد معين من التناقضات والمفارقات في العلوم الاجتماعية والإنسانية، بما فيها من علوم السياسة والإعلام، لنتساءل في بادئ الأمر عن المعاني المختلفة لهذا المفهوم، وما هي أنواعه؟ وما هي المقومات التي على أساسها نحدد الهوية؟ فيجيبنا القاموس العربي عن مفهوم الهوية، بأنه كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه "ياء" النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها (خلاب، 1998، صفحة 35)

ولكن الهوية كقيمة أصبحت قضية تشترك في تحديد مفهومها كل القيم الكبرى من الإنسانية والوطنية والعقل والفكر واللغة والتاريخ والدين. لذلك أصبح الذين يبحثون عن الإنسان يبحثون عن هويته، و الذين يحللون الأمة أو الشعب ينطلقون من هويتهما (خلاب، 1998، صفحة 36). ويدخل في تحديد مفهوم الهوية علم النفس، الاجتماع، الفلسفة، علم الإعلام والاتصال.

فالنسبة للباحثين السوسيولوجيين، يعتبرون الهوية الجماعية هي كل شيء مرادف لخاصية الانتماء، الشيء الذي يمنحها نوعاً من الغموض والإبهام متى تكون هذه الانتماءات مهمة (Dubar, 2001, p07)؛ أما في علم النفس فقد استعمل المفهوم لأول مرة في دراسة وشرح الاضطراب الذي أصاب الجنود خلال الحرب العالمية الثانية، قبل أن تكون إشكالية تخص المراهقين أو الأقليات الأجنبية (Lamizet & silem, 1997, p278).

ويرتكز هذا المفهوم في علم النفس دائماً على إحساس الفرد بهويته بمجرد أن الفرد يدرك نفس الشيء الذي يجعله هو، ويختلف عن الآخرين وهذا ما يحيل إلى كتابات فرويد، حيث يعتبر الهوية سياق التجارب النفسية الممكنة لأشخاص عدة. كما تجيب رؤية أخرى عن سؤال الهوية كوحدة للذات تتموضع على حدود معروفة، على مستوى تفاعل الأنا- الآخر، حيث كل طرف معروف وكل واحد يتواجد من خلال ملاحظة الآخر، وهذا ما يفسر من خلال التجارب السيكيوسولوجية التي تعتبر الإنسان مجرد وحدة بيولوجية وروحية وتجعل منه حلقة تفاعلية داعية بذلك إلى إدراك كينونة الإنسان على أنها كينونة قائمة في العالم، وتعتبر الهوية حصيلة لمجموعة من أنساق العلاقات والدلالات التي يستقي منها الفرد معنى لقيمتها ويضع من خلالها لنفسه نظاماً يشكل في إطاره هويته، حيث تتواصل لديه إمكانية تحديد ذاته داخل الوسط السوسيو ثقافي باعتباره نظاماً مرجعياً على المستوى السلوكي (Lamizet & silem, 1997, p278).

أما في الفلسفة، فهي حسب فولتير عام 1764 " هي المفهوم العلمي الذي لا يعني إلا نفس الشيء (Lamizet & silem, 1997, p276) فهي مفهوم اعتبرت كشرط أساسيا في كل الأفكار المنطقية التي تشكل من خلال مفهوم الهوية، أي الشيء نفسه بمعنى (إن أ هو أ). وفي علم الجبر (الرياضيات) يحيل المفهوم إلى أن الهوية هي مساواة تبقى صحيحة مهما كانت القيم الخاصة التي تشكل هذه المساواة مثال ((أ + ب) = 2(أ + 2ب)) ، بمعنى أن هذا المبدأ مكمل لمبدأ اللاتضاد، فالشيء لا يستطيع أن يكون نفسه وضده، والهوية في الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا مفهوم يدور حول العديد من الإشكاليات والانتماء الجنسي والشخصي، ودرست الهوية من خلال نموذجين: (Lamizet & silem, 1997, p277)

- الأول: يتعلق الأمر بإشكالية هوية الأشياء، أي كيف يستطيع المجتمع استعمال العلاقة المنطقية للهوية (أ هو أ) من خلال ذوات الأشياء أو الأشخاص المتواجدين في عوالمها، حيث يقول MAURO PERESSIMI: " تحقق الهوية لأعضاء الجماعة متى يكون الأمر (X هو X) لأنه فعل هذا، أو فكر هكذا".

- الثاني: يتعلق الأمر بهوية الأشخاص و المجموعات، بمعنى كيف يعرفون الأفراد والجماعات أو كيف يتجمعون عن طريق خاصية أو تحت تسمية مشتركة، وفي هذا الصدد يقول E.HOBBAWN: (سأحدد أثنى كل جماعة، التي تعتبر بمثابة الكل المختلف بطريقة مستمرة عن مجموعات أخرى تعيش أو تتواجد على محيط معين، هذا الاختلاف حسب الأسماء، والخصائص التي تميزها عن طريق العناصر المشتركة للمجموعة التي يمكن أن تكون واقعية أو تعتبر واقعية). (HOBBAWN, 51) (1993,p

وعند تحليلنا لمفهوم الهوية، وجدنا هناك تداخل بين مفهوم الهوية ومفهوم الشخصية، فالهوية كما أشرنا سابقا هي وجود الشيء على حاله، أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على خصائص ومقومات ومواصفات معينة، أما مفهوم الشخصية، فهو نسبة إلى الشخص، وهي تعني التعدد والتميز والاستقلال و الإرادة الواعية في نفس الوقت (بن نعمان، ب.ت، صفحة 19)، ويمكن التداخل بين هذين المفهومين، عندما يتعلق مفهوم الشخصية بالأمة، أي المقومات التي بها يكون الشعب أو الأمة متميزين عن غيرهما من الشعوب والأمم الأخرى مثلما يتميز الفرد الواحد في نفس المجتمع عن غيره من الأفراد، ويوضح أحمد بن نعمان هذا التداخل في قوله : (يجدر التنبيه إلى أن الهوية التي تعني الكيان و النوعية في نفس الوقت، في حين إن الشخصية تنصب على حال الكيان ومحدداته فقط، أي على تحديد الصفات التي يعرف بها الشخص بين الأشخاص وتعرف بها الأمة بين الأمم ومن خلال هذه التعاريف السابقة نستنتج أن الهوية نوعان :

- 1- هوية فردية: والتي تعتمد على الخصائص التي تميز كل كائن بشري عن الآخر.
- 2- هوية جماعية: وهي تشير إلى انتماءات الفرد إلى مجموعة أو مجموعات اجتماعية متعددة أو لمحيط معين (البلد/ المدينة / الوطن...) وحسب أحمد بن نعمان إن هوية أية أمة من الأمم هي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها (بن نعمان، ب.ت، صفحة 21) وحسب أمين مألوف (الهوية تدرك كمجموعة لكل انتماءاتنا وفي أحضان الانتماء داخل المجموعة البشرية ستأخذ تدريجيا الأهمية حتى تصبح في يوم ما الانتماء الرئيسي (Maalouf, 1998,p33) ، وبالتالي، فالهوية الجماعية تتحدد وفق مجموعة من الانتماءات في رحم النظام الاجتماعي، والتي تجمع في بعض الأحيان وتقصي في أحيان أخرى، بمعنى تميز أعضاء المجموعة الذين يتماثلون ويتشابهون وفقا لروابط معينة، وتفرق مجموعات أخرى عن المجموعة الأولى على أساس هذه الروابط. وأهم عامل في هذه الحالة هو الاختلافات الثقافية، لأن الهوية الثقافية تعتبر كنمط تصنيف للتمايزات نحن/ هم على أساس هذه الخلافات (Cuhe, 84) (1998,p لذلك تحليلنا اليوم الإشكاليات الكبرى حول الهوية مباشرة إلى إشكالية الثقافة. إن كل فرد يتحرك داخل فضائه الثقافي الذي يبلور فيه هويته التي تمنح له القدرة على التأقلم في المجتمع، أين يتعلم أخذ مكانه ويفهم قواعد اللعبة الاجتماعية (Dubar, 2001,p190) ، وذلك عن طريق عملية

التنشئة الاجتماعية، والتي تلعب فيها الأسرة و المدرسة الدور المحوري، حيث تعمل على تلقين الفرد ومنذ الولادة مقومات هويته الأساسية كالدين واللغة، والعادات والتقاليد، ومسيرة المصير المشترك و أساليب التعامل، فهي تعمل على تقوية إحساسه بالانتماء إلى جماعة أو أمة معينة. من خلال إحياء وتقوية وتغذية مورثات الحياة الاجتماعية على حد تعبير أمين مألوف والذي يركز عليها كلود ديبار CLAUDE DUBER في أحقية كل فرد في البحث عن مصادر من أجل تشكيل هويته، وهي مصادر رمزية حيث يقول: (أسعي الهوية الرمزية بمختلف الأنماط الهوياتية داخل خصائص المعتقدات السياسية، الدينية، الثقافية...، أي مختلف المرجعيات لنا وللآخر) (Dubar, 2001,p.55) كما يعتبر بعض الفاعلين السياسيين أمثال هتلر وستالين أن حدود الهوية تكمن في مجموعة عناصر اكتسبها الفرد منذ الولادة ، كاللغة ، الأصل والدين (H.LAVOIE,2004, ca.inter.net) الشيء الذي يحدث التحاما وتماسكا بين أفراد الأمة الواحدة فتقسم إحساساتهم التضامنية، تجمعهم، تحركهم، تشجعهم تحملهم على أن يكونوا في المواجهة، باختصار الهوية الإنسانية مربوطة بثقافة تحدد لها حدودها.

وإذا أردنا التطرق إلى دراسة إشكالية الهوية الثقافية نجد أنفسنا أمام ضرورة دراسة تأثير وسائل الإعلام الجماهيرية الذي يتمحور في قلب هذه الإشكالية. فبتطور وانتشار وسائل الإعلام و الاتصال الجماهيرية حدث تطور واختلاف على مستوى البنيات الاجتماعية والمعايير الثقافية، وولدت هذه الثورة الإعلامية مفاهيم جديدة، كالثقافة الجماهيرية والمجتمع الجماهيري والصناعة الثقافية، وهي مفاهيم تطرقت إليها مدرسة فرنكفورت بكثير من التحليل والدراسة. وهذا ما سنحاول دراسته في موضوع الهوية في علوم الإعلام والاتصال.

3. المقاربات النظرية لمفهوم الهوية وأهم خصائصها

إن الاهتمام بدراسة مفهوم الهوية في العلوم الاجتماعية والإنسانية ظهر في السنوات الأخيرة بنوع من الاهتمام أكثر من سابقتها وهذا ما يؤكد شيبيل في قوله: " ...الهوية ظاهرة معقدة لم يولها أغلب الباحثين حتى اليوم سوى اهتمام معتدل، إذا ما قارنا الاهتمام الذي حظيت به إلى يومنا هذا....." (حدية، 1996، صفحة 25) ويقول أيضا: " يبدو و بجلاء أنه مسألة الهوية مازالت في بدايتها كما أنها ظلت مهملة من لدن الباحثين إلى عهد متأخر..." (حدية، 1996، صفحة 25) وهذا لأن الدراسات والبحوث كانت تهتم بالكائن وبالفكر وهذا ما يفسر الغموض الذي لازال يكتسي، مفهوم الهوية لدى أغلب الباحثين والدراسيين.

يرجع الاهتمام العلمي بمسألة الهوية إلى علم النفس الاجتماعي الذي يهتم بدراسة سلوك الفرد كما يتشكل من خلال المواقف الاجتماعية، وهذا الاهتمام ظهر خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تحولت وجهة البحوث في فترة ما بين الحربين إلى إشكاليات الهجرة، بالبحث عن أدوات من أجل إدماج المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية و تحقيق التوافق والصحة النفسية، على أساس أن الهوية الثقافية تحدد سلوك الأفراد والجماعات والتي من المفروض أنها ثابتة، ولكن سرعان ما تجاوز

البحث هذه الفرضية، وعمل وفق فرضية أخرى تخضع الهوية لسياق العلاقات الثقافية البينية والعلاقات بين الثقافات (ولد خليفة، ب.ت، صفحة 106).

لقد اختلفت الرؤى والمقاربات النظرية لمفهوم الهوية، فالاتجاه الموضوعاتي (objectiviste) يفترض أن الأفراد هم مجرد موضوع للهوية وكأنهم مجموعة طوابع بريدية تمر أمام آلة تضع عليهم الأختام و الذي لا يحمل الختم هو إما شخص هامشي وإما (متمرد) وبلا جذور ، وأما الاتجاه الثقافي (culturaliste) يعطي الأهمية للميراث الثقافي، فهو يهتم بالقنوات التي تعبر منها الثقافة وهي التثنية و التطبيع، أما التدايتيون (subjectiviste) يرون أن الهوية تتجاوز بعدها المتوارث و المنقول وكأنها في حالة سكون نهائي وتنتقل أليا من جيل إلى جيل وعلى مستويات مجموعة من البشر. إن ذلك يؤدي إلى وجود جماعات ذات سمات شخصية متطابقة (ولد خليفة، ب.ت، صفحة 110).

ومهما اختلفت الاتجاهات النظرية المفسرة لمفهوم الهوية، إلا أن الإجماع واحد على أنها نظام له تأثيره المباشر على الأفراد و الجماعات كما تتميز بالحركة و التعدد في حدودها ومستوياتها هذا ما يمنحها صفة التعقد، فحسب (بارت) في دراسته " الحدود بين الجماعات الأثنائية" يرى أن التمايز بين الهويات يرجع في الحقيقة إلى نوعية العلاقات بين الجماعات و الطريقة التي تبرز فيها الاختلاف ضمن تلك العلاقات (ولد خليفة، ب.ت، صفحة 112) ، وبالتالي المهم في إبراز هوية الأفراد و الجماعات هو التركيز على السمات التي تحدث التمايز بين المجموعات البشرية، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :

أ- اللغة المشتركة:

إن اللغة تعد السجل الحيوي الذي يترصد حركة التطور لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم، فاللغة حسب FERNAND DUMAND وهي التعبير الأول والأعلى لروح الأمة (Lamizet & silem , 281, 1997,p). إن فعالية اللغة وديناميكيها تعكس نهضة ودينامكية الشعب المالك لتلك اللغة، والأمثلة في التاريخ عديدة .

فاللغة هي الوسيلة المثلى لفهم الواقع الاجتماعي والثقافي وتحليله، ومعياري يقاس على أساسه قيمة كل مجتمع وطبيعته وانتمائه لذلك فهي تعتبر عنصر مهيكلي للشخصية وحافظ للهوية، باعتبارها واقعة اجتماعية – اللغة- وخصوصيتها ليست مجردة وإنما تتواجد في عقول الناس، فحسب فردينان ديسوسور في تشبيهه للغة بالقاموس في قوله (اللغة تتواجد على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو في شكل معجم تقريبا، حيث تكون الشرح المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد (عبد الله الثاني، 2005، صفحة 107) ، ويقصد بالبصمة أنها خاصية بكل مجتمع، فهي عبارة عن مستودع علاماتي متبلور في أذهان أفراد المجتمع الواحد، والتي تحمل معاني دلالية معينة، وتنتج سلوكا معيناً حسب القدرة التأويلية لهذه القيم الدلالية .

وبالتالي فاللغة هي عنصر شحن، ومؤسسة اتصال، وعامل فاعل في توحيد أفراد الأمة، وفيها يتم تمفصل جموع الخصائص الأخرى المميزة للشعوب (Lamizet & silem , 1997,p281)، إذن فاللغة

مؤمن للذاكرة الجماعية ووعاء للقيم الاجتماعية ورحم للهوية الثقافية ، إلا أن الشيء الواجب الإشارة إليه هو أن اللغة وحدها لا تستطيع أن تهندس الهوية البشرية، فبعض الشعوب يتحدثون بنفس اللغة إلا أنهم مختلفون فيما بينهم .

ب - الوعي التاريخي:

تعني كلمة الوعي مجمل العمليات العقلية التي تساعد الإنسان على فهم العالم والتكيف مع متطلبات الحياة، والوعي حسب وليام هاملتون (أحد المعطيات الرئيسية للفكر) (جميل، 2000، صفحة 671) ، فتحدد قيمة الإنسان حسب درجة وعيه، ووفقا للمستوى الذي يبلغه هذا الوعي، فتترسخ الذات الجماعية باتساع نطاق معرفة الأفراد لأنفسهم ولمحيطهم (عشوراتي، 2003، صفحة 24) ، المحدد وفق منظومة قيمية وسلوكات وتصرفات تندرج ضمن العادات و التقاليد و الأعراف المميزة لكل مجتمع فلا يكاد يخلو واقع اجتماعي ما من تقاليد تحافظ عليها المجموعات الأهلية وتمارسها وتعتبرها تراث الأجداد ورسالتهم التي تخاطبهم على الدوام (عشوراتي، 2003، صفحة 209) إن التجارب المشتركة والعواطف والتراث تشكل ما يسمى بالمدونة الثقافية، أو الخلفية الثقافية والفكرية وبتراكم هذه التجارب تتحول إلى منظومة من العلاقات الأشبه بدليل يسير به الإنسان، في إطار الذاكرة الجماعية التي تقوم على جدلية الإدراك والنسيان حسب ما أشار إليه جاك لوقوف في كتابه (الذاكرة والتاريخ) حيث يقول: (يقابل الذاكرة في علم النفس النسيان ، فمتى تعرض الفرد إلى هذا النسيان اضطربت شخصيته، أما الجماعة إذا تعرضت له فقدت هويتها)، فالأمة التي تنسى تاريخها تكون قد دخلت دوامة السبات، ولا تستطيع أن تعاود الحياة إلا عن طريق العودة إلى تاريخها ودراسته وتمحيصه وتمحيصا دقيقا، لأن التاريخ مربوط بالذاكرة الوطنية التي هي كل شيء. فالغزو الثقافي ومحاولته طمس الذاكرة الجماعية يستهدف التراث الحضاري وثوابت الفكر ومقومات النهضة للشعب المستهدف (الزيري، 1986، صفحة 91) ، فيحدث تعميق الفجوة بين حاضره وماضيه وتبقى الكتلة الجماهيرية مجموعة بشرية فاقدة الإرادة والوعي ومنقطعة الجذور بأصولها الثقافية، وبالتالي فاقدة لهويتها.

ج - الإحساس بالانتماء:

لا يستطيع الفرد أن ينخرط داخل أية مجموعة إلا إذا كان يحس بالانتماء إليها، هذا الانتماء قد يكون على أساس الجنس، اللغة، الدين، العادات، التقاليد، التاريخ المشترك، هذه الانتماءات تساهم في بلورة الهويات البشرية.

1. إن خاصية الانتماء تنمو وتتحرك في فضاء المصادر الرمزية التي ارتبط أغلبها بالقدسية كالدين مثلا، فكل إنسان وكل مجتمع يتخذ لنفسه ديانة يعتنقها، لأن حاجة الإنسان إلى الدين حاجة أصلية تتصل بجوهر الحياة وسر الوجود وأعماق الإنسان، فحسب أرنست رينان (من الممكن أن يضمحل كل شيء لكن يستحيل أن يمحي التدين) (شاتليه، 1997، صفحة 472)

2. رابط قدسي آخر يربط بين أفراد الأمة الواحدة وهو الإحساس بالوطنية و المتمثل في حب الوطن والسهر على حمايته والتضحية من أجله والشعور بالذوبان في المجتمع وبالتالي التمسك بمعالم الهوية، فيشيد كل من الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده وعبد الحميد بن باديس وغيرهم على أهمية الولاء للوطن في النهضة وفي مواجهة الأخطار التي تصيب الأمة. فضياع الأوطان وإضعافها ليس كيوه حصان أوزلة في السياسة، إنها لعنة تاريخ وحساب أليم أمام ذاكرة الأجداد (الطبي، ب.ت، صفحة 02).

3. عامل السلالة و القرابة له الدور الكبير في الجمع بين أفراد الأمة الواحدة، حيث انشغل لويس هنري مورقان 1871 بجموع صيغ القرابة ووظائفها في البنية الاجتماعية المختلفة كما رسخ بروتيسلاف ملينسكي 1913 عامل القرابة في تنظيم المجتمع وترتيب الوظائف داخل مؤسساته، إلا أن كلود ليفي ستروس 1949 وجه اهتماماته إلى تأثيرات نسق القرابة في بنيات الدهنيات وتوجيه العقلية (طبي، ب.ت، ص.ص. 12-13).

4. الهوية في علوم الإعلام والاتصال

إن مفهوم الهوية أثار اهتمام الباحثين في علوم الإعلام والاتصال إلا أن هذا المفهوم يصعب تحديده داخل هذا الفضاء، وذلك نظرا لحدائة الدراسات في هذا المجال، ونظرا لتداخل العديد من فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية في تحديد هذا المفهوم.

- إن مفهوم الهوية داخل فضاء علوم الإعلام والاتصال، لا يأخذ معنى خاص، ولكن يدور حول إشكاليات أخرى ومجالات بحوث متميزة (Lamizet & silem, 1997,p282)

- أولا: هذا المجال يختص بالأعمال حول الهوية الوطنية وسوسيولوجيا وسائل الإعلام، بمعنى أنه يحاول البحث و الكشف عن العلاقة بين المجتمع ووسائل الإعلام من ناحية ومن ناحية أخرى تقيم أثار ووسائل الإعلام على مسيرة الأحداث العامة، ومساهماتها في تشكيل الهوية الوطنية حيث أن التلفزيون هو الوسيلة التي احتلت الموضوع الأكثر عمقا في هذا الإطار.

- ثانيا: هناك بعض الدراسات التي اهتمت بكشف العلاقة بين المحيط والاتصال، حيث أن الاتجاه الأول تحدثت حوله النظريات السلوكية والمتمثلة في نظريات التأثير المختلفة، والتي دارت إشكالياتها حول التأثير المطلق و المحدود لوسائل الإعلام على الأفراد، وتزعم هذا الاتجاه كل من لازار سفيلد و لاسويل (النموذج السلوكي للاتصال السياسي). أما الاتجاه الثاني، فهو يتعلق بالسيرورات المختلفة للعملية الاتصال وعلاقتها بالمحيط الذي تنشأ فيه، حيث نجد MARTINE FOURNIER يتحدث عن مختلف هذه السيرورات في كتاب: (La communication, état et savoir)، وحددها فيما يلي (Cabin,1998,p216) :

1- بلورة المعاني La construction du sens: هو أول رهان للعملية الاتصالية و التي تسمح لنا بفهم شركائنا، أي تبادل معهم نفس الرموز التي نتعارف على معانيها و المرتبطة بالسياقات الاجتماعية و الثقافية...

2-الرجوع إلى المرجعيات الجماعية : إن التفاعلات البسيطة داخل الحياة اليومية تتطلب سلسلة من المعطيات كالمعرفة اللغوية Connaissances l'linguistiques والتصورات الاجتماعية (représentations sociales) والضوابط العلائقية (les normes relationnels)

3-بناء العلاقات و التبادلات بين الفاعلين (la striction des relations) يتم حسب وضعيتهم داخل العملية الاتصالية مثال: المدرسة والباحث عن التعلم / النشرات التلفزيونية والمتفرجين/ الإشهار و الذين يبحثون عن حاجاتهم ورغباتهم / هذه العلاقة قد تكون حميمية أو بعيدة، أفقية أو عمودية.

4-إبراز هوية الفاعلين: كل عملية اتصالية تحمل لنا معلومات عن القائم بالاتصال ، تعبيراته وخطبه تحمل صفاته المميزة قيمه، سلوكاته، كما نستطيع استخلاصها أيضا عن طريق تقنية تحليل المضمون للخطب التي تكشف عن الهوية الحقيقية للفاعل (القائم بالاتصال).

5-بروز المعلوماتية (L'émergence de l'information) المعلومات تنشأ عند التقاء جملة من المعطيات بقصد من الفاعل.

6-التأثير(L'influence) ميكانيزم جوهري للعملية الاتصالية، وتتوقف على مبادئ أخرى، فالتأثير يستند على عدة وسائل : كالتلاعب الضمني، والاعتزاز بمصادر أخرى كالمعايير الاجتماعية ومعارف المشتركة.

وهكذا يتضح أن العملية الاتصالية مهما كانت ترتبط مباشرة بالنظام الاجتماعي والثقافي السائد في تلك البيئة أو الموجهة إليها، فإن المادة الإعلامية عبر وسائل الاتصال المختلفة، باستطاعتها أن تشكل مواقف لدى الأفراد المستقبلين لها، هذه المواقف والاتجاهات تبنى على أساس وجود رأي عام تلعب الوسيلة الإعلامية وخطابها دورا في تشكيله أو تغييره أو تعديله، خصوصا وأن عملية تخزين وتوزيع وضخ المعلومات أصبح أمرا لامحدود بمجال جغرافي معين إلا في حالات نادرة (مثلا المعلومات الأمنية – العسكرية – الجيوستراتيجية).

إذن إن قطاع الإعلام والاتصال يعتبر مؤسسة اجتماعية تبرز كفاعل يجتاح أو يغير المجتمع، ويعتبر في الوقت ذاته الوسيلة المناسبة للتعرف عن المجتمع وتغييراته وتنظيماته من خلال تحليل مضامين الخطب الإعلامية، وتتبع مسيرتها التاريخية.

فالإعلام يعتبر أهم المنافذ التي يلجأ إليها كل تيار فكري أو سياسي من أجل تسيير المستقبل نحو الوجهة المنشودة حسب استراتيجية وأهداف كل تيار، لذلك يحدث الصراع حول الوسيلة الأكثر فعالية والأقل تكلفة حسب روجيس دوبريه، مؤكدا على أن وسائل الإعلام تفكر وكلما تقدم التجديد و التوسط الإعلاميان، كلما ازداد تفكير وسائل الإعلام بالنيابة عنا (دوبريه، 1996، صفحة 192)، فهو

يؤكد على الدور الكبير لنظرية الأجندة في تفسيرها للتأثير الإعلامي، فكثيرا ما تجمع وسائل الإعلام المسيطرة أفكار العصر المهيمنة (Debray , 1991,p130) ، حتى أنها تتدخل في رسم الخطوط الأساسية التي تسير عليها المجتمعات، حيث أن هذا التوجه أثر بصورة محسوسة على الصناعات الإعلامية وصياغة مضامين خطبها، وذلك بالاهتمام المتزايد بأذواق ورغبات وميولات فئات من الجمهور سواء لتحقيق هدف معنوي سياسي أو لتحقيق حاجة مادية تجارية، وهذا ما مكن قطاع الإعلام أن يكون الميزة رقم واحد للعصر الحالي الذي أضفى فيه الرمز أقوى من السلاح.

إن المجتمع الإعلامي يبني على أساس سرعة انتقال المعلومة، وبرز كنتيجة لانفجار معرفي ضخم، وكذا ثورة الإعلام الآلي والأترنت، لتجتمع كل هذه الوسائل وتصب في مصب واحد يقود البشرية جمعاء نحو إعادة رسم الخريطة العالمية ضمن نظام جديد يدمج فيه ما نعرفه للخروج بما لا نعرفه، فعن طريق الخطاب الإعلامي تلتقي الثقافات وتتقاطع وتتصادم في أحيان أخرى فكل يوم يفاجئنا الإعلام بعناصر ثقافية جديدة قد تشكل تهديدا على الثقافات المحلية لأنه غير من عادات التلقي وطرق التواصل.

حقيقة إن ما يجعل قطاع الإعلام والاتصال أحد الرهانات الكبرى هو ذلك الخطر الذي يلعبه على مستوى الثقافات فقد يكتب لثقافة الأمة المالكة الغلبة والنصرة، وقد يروج لثقافة سطحية تغرق الجماهير وسط كم هائل من منتجات الصناعة الثقافية والتي ركزت عليها مدرسة فرنكفورت ونقدتها بحدة بالغة ، فهي تعتبر الثقافية الجماهيرية سلعة أو منتج لصناعة الثقافية الجماهيرية المروجة لأفكار إيديولوجية حسب الجهة المسؤولة عن عملية إنتاجها، والهادفة بالدرجة الأولى إلى تحقيق الربح المادي فيقول HORKHEIMER وADORNO (منتوجات الفكر في نمط الصناعة الثقافية ليست أكثر من سلعة تهدف إلى الربح) (Adorno, s.d, p68)

فالمنتجات الثقافية – السلع – تنظم على أساس مبدئها التجاري وليس على أساس مضمونها حيث تصفها المدرسة بالثقافة الهابطة التي تروج لوعي مزيف عن طريق الإعلان، الإشهار، الدعاية، التشويه الإعلامي فكل منتج للصناعة الثقافية له إعلانه الخاص (Adorno, s.d,p68) والذي يعمل على غسل أدمغة الأفراد المستهلكين لها، فتقدم لهم حقيقة غير الحقيقة، لتصبح بذلك سلع سعادة الإنسان مصدر تعاسة له، لأنه ليس ملك كما تروج له الثقافة الجماهيرية وإنما هو زبون وفي للمنتجات الصناعة الثقافية، ليتحول بذلك نظام التبادل السلعي إلى أداة إيديولوجية بدون منازع قلص من جدلية الفن الراقي وحوله إلى فن هابط سعي بالثقافة الهابطة التي تصرف الناس عن الحقيقة (قطب، 1992، صفحة 53)

وفي هذا يؤكد محمد قطب في كتابه (جاهلية القرن العشرين) حيث يصف هذه الجاهلية بأنها أخطر جاهلية عرفتها البشرية، لأن هذه الجاهلية الحديثة بوسائل إعلامها تحاول أن تصرف الناس عن الحقيقة، بل وتعمل على خلط الحق بالباطل، حتى يختلط الأمر على المظلومين أنفسهم فيحسبون

أنهم يعيشون في عدالة والمضللين أنهم في خير عميم، فهو يصف وسائل الإعلام بالسلاح الخطير الذي يحدث فسادا في التصور وبالتالي فسادا في التصرف، لأن وسائل الإعلام تظل تلح على أذهان الناس حتى يتخيل لهم أن الباطل هو الحق وأن الحق هو الباطل، فهو يقول (إن الباطل اليوم يستند إلى العلم ويتخذ العلم وسيلة للتضليل...ومن سمات هذا العصر ثلاثية العلم والقوة والتنظيم، وهي أقطاب غير محايدة تخدم طاغوت اليوم) (قطب، 1992، صفحة 54)

ويقصد به المسيطر على وسائل الإعلام، ليصل في الأخير إلى نتيجة عامة وهي أنه لم تدع الجاهلية الحديثة شيئا في عالم التصور بفساد، باختصار هو انحراف يشمل كل حياة الإنسان.

إن الإعلام حسب روجيس دوبريه المجموع المنتظم من الارتباطات المتبادلة التي توحد مع عصر معين بالنسبة لمجال حضاري معين، تقنية نقل معينة ووظيفة رمزية ومعينة ونمط معين من السيطرة. (دوبريه، 1996، صفحة 194).

خاصة في مجتمع عالمي جديد يهيكل وفق نموذج العولمة التي تسعى إلا فرض نمطية أحادية تنبذ التعدد والتنوع و الخصوصيات الوطنية، وبالتالي تسعى إلى تفكيك الهويات البشرية التي تترعرع في رحم الثقافة، التي يعرفها مالك بن نبي (بأنها المحيط الذي يصوغ كيان الفرد كما أنها مجموع القواعد الأخلاقية والجمالية) (بركات، 2003، صفحة 17).

كما نجده يؤكد على أن الثقافة هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته ، فهي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة ويحدد قطبيها العقلي والروحي. والثقافة في التعريف الذي وضعه العلماء في المؤتمر العالمي لوزراء الثقافة بمكسيكو 1982 تمثل مجموع السمات الروحية والمادية و الفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان و نظم القيم والتقاليد و المعتقدات، وإن الثقافة هي التي تمنح الإنسان القدرة على التفكير في ذاته والتي تجعل منا كائنات نتميز بالإنسانية (بن نعمان، ب.ت، صفحة 27).

5. خاتمة:

الثقافة تدخل كعامل أساسي مؤسس للحضارة الإنسانية، ومسايرته بكيفية أو بأخرى لمخاضات التحول في المجتمع، المرتبط بالقدرة الإبداعية من ناحية ومن ناحية أخرى بمدى التفتح على ثقافات الآخرين، فكل حضارة لا يمكنها أن تتطور وتتوسع إلا بقدر ما أنتجت من رموز وخطب، وبقدر ما أوصلتهما للآخر، لأننا في عصر لا يمكننا الحديث فيه عن ثقافة منعزلة، لأن وسائل الإعلام الجماهيرية كسرت حاجز الزمان والمكان، وساهمت في احتكاك الثقافات وبالتالي حدوث عملية المثقافة بين المرجعيات الثقافية المختلفة، وعليه يصبح من المستحيل الحديث عن نقاء ثقافي، فالعناصر الثقافية أصبحت تسافر عبر الخطب الإعلامية من مكان لآخر ودون حدود، الشيء الذي يؤثر على هويات الأمم والشعوب، فما من أمة استطاعت أن تحتفظ بكل مكونات ومقومات هويتها على مدى

آلاف السنين، لأن الهوية عبر مسيرتها التاريخية تتعرض لعوامل التحاثل والتعرية (خلاب، 1998، صفحة 37). لذلك لابد على كل حضارة إن أرادت البقاء والاستمرار أن تهتم بإنتاج ما يعزز ثقافتها وبالتالي تغذي هويتها بملامح جديدة تؤكد السابق منها ولا تلغيه لأن ضعف المعايير الثقافية المميزة يعني ذوبان الهويات المحلية أمام الهويات والثقافات المسيطرة وتصبح الشعوب المحكومة لا هوية لها حسب عبد الكريم غلاب. و باختصار فإن مفهوم الهوية يعتبر مفهوما ذو تمييز وخصوصية والأكثر تهديدا من قبل النظام العالمي الجديد الذي سيسحق كل من يعتز بثقافته وهويته.

6. قائمة المراجع:

- بركات مراد محمد . (2003). مالك بن نبي فيلسوف الحضارة وشاهد القرن. مجلة الرؤى. (20)
- بن نعمان أحمد. (بلا تاريخ). الهوية الوطنية: الحقائق والمغالطات. الجزائر: دار الأمة.
- جميل الحاج (2000). الموسوعة المسيرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي. لبنان: مكتبة لبنان.
- حدية مصطفى. (1996). التنشئة الاجتماعية و الهوية: دراسة نفسية اجتماعية للطفل القروي المتمدرس. الرباط: منشورات كلية الأدب.
- خلاّب عبد الكريم. (1998). أزمة المفاهيم وانحراف التفكير (المجلد 01). لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- دوبريه روجيس. (1996). محاضرات في علم اجتماع عام -الميدولوجيا-تر. الشاهين فؤاد. جورجيت حداد. بيروت: دار طليعة.
- الزبيري محمد العربي. (1986). الغزو الثقافي في الجزائر ، 1962 إلى 1982. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.
- شاتليه فرنسوا. (1997). معجم المؤلفات السياسية ،.تر. عرب صليبيا . بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- الطيبي محمد. (بلا تاريخ). العرب: الأصول والهوية . الجزائر: دار المغرب.
- الطيبي محمد (بلا تاريخ) محاضرة حول المصالحة الوطنية (الميثاق وبشائر الاتفاق فيما بدا من أفاق حول ما يستحقه الوطن من عزة وبقاء).
- عبد الله الثاني قدور. (2005). سميائية الصورة : مغامرة سيمسائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم. الجزائر: دار الغرب.
- عشوراتي سليمان. (2003). الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر. الجزائر: دار الغرب.
- قطب محمد. (1992). جاهلية القرن العشرين. القاهرة: دار الشروق.

- ولد خليفة محمد العربي. (بلا تاريخ). المسألة الثقافية و قضايا اللسان والهوية . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- Adorno, T. (s.d.). L'industrie culturelle. *la communication*(256).
- Cabin , P. (s.d.). *la communication état et savoir*. Paris: édition sciences humaines, puf.
- Cuhe, D. (1998). *Lla notion de culture dans les sciences sociales , Alger , casbah , 1998*. casbah, Alger.
- Debray , R. (1991). *cours de la médiologie générale*. paris: édition gallimar.
- Dubar , C. (2001). *la crise des identités*. paris: puf.
- HOBBAWN, E. (1993). *qu'est-ce qu'un conflit ethnique, acte de la recherche en sciences sociales*.

JEAN H.LAVOIE. (19 octobre, 2004). - *le sauvegarde des identités*, pages .ca.inter.net . 19/12/2020 ,pages .ca.inter.net

- Lamizet, B., & silem , A. (1997). *dictionnaire encyclopédique des sciences de l'information et de la communication*. Paris: ellipse.
- Maalouf , a. (1998). *les identités*. grasset.
- Mauro, p. (s.d.). *les deux visages de l'identité*. Consulté le 22 02, 2021, sur www.civilisation.ca,25: www.civilisation.ca,25